الفصل الثامن والعشرون
عام الوفود وحج أبي بكر بالناس

دخول العرب أفواجًا فى دين الله – إسلام عروة بن مسعود الثقفى وقتل أهل الطائف له – أخذ القبائل المجاورة الطريق على ثقيف – وفدها إلى النبى وشروطه – إسلام الوفد وإسلام الطائف وهدم صنمها اللات – حج أبى بكر بالناس – لحاق على بن أبى طالب به – سورة براءة – أساس الدولة الإسلامية المعنوى – الجهاد فى الإسلام وتسويغه.

أثر تبوك – ميل العرب إلى الإسلام:

بغزوة تَبُوك تمَّت كلمة ربك فى شبه جزيرة العرب كلها، وأمِن محمد ﷺ كل عادية عليها. والحق أنه لم يكد يستقرّ بعد أن عاد من هذه الغزوة إلى المدينة حتى بدأ كل من أقام على شركه من أهل شبه الجزيرة يفكّر. ولئن كان المسلمون، الذين صحبوا محمدًا ﷺ فى مسيره إلى الشام كابدوا من صنوف المشاق واحتملوا من القيظ والظمأ أهوالًا، قد عادوا وفى نفوسهم شىء من السخط أن لم يقاتلوا ولم يغنموا بسبب انسحاب الروم إلى داخل الشام ليتحصنوا بمعاقلهم فيها– لقد ترك هذا الانسحاب فى نفوس قبائل العرب المحتفظة بكيانها وبدينها أثرًا عميقًا، وترك فى نفوس قبائل الجنوب باليمن وحَضْرَمَوْت وعُمَان أثرًا أشدَّ عمقًا. أليس الروم هؤلاء هم الذين غلبوا الفرس واستردُّوا منهم الصليب وجاءوا به إلى بيت المقدس فى حَفْل عظيم. وفارس كانت صاحبة السلطان على اليمن وعلى البلاد المجاورة لها أزمانًا طويلة! فإذا كان المسلمون على مقربة من اليمن ومن غيرها من البلاد العربية جمعاء، فما أجدر هذه البلاد بأن تنضمَّ كلها فى تلك الوحدة التى تستظل بعلم محمد، علم الإسلام، لتكون بمنجاة من تحكم الروم والفرس جميعًا! وماذا يضرّ أمراء القبائل والبلادَ أن يفعلوا وهم يرون محمدًا يُثَبِّت مَنْ جاءه معلنًا الإسلام والطاعة فى إمارته وعلى قبيلته؟! فلتكن السنة العاشرة للهجرة إذًا سنة الوفود، وليدخل الناس فى دين الله أفواجًا، وليكن لغزوة تَبُوك ولانسحاب الروم أمام المسلمين من الأثر أكثر مما كان لفتح مكة والانتصار فى حُنَين وحصار الطائف.

إسلام عروة بن مسعود:

ومن حسن صنيع القدر أن كانت الطائف– التى قاومت النبىّ فى أثناء حصارها ما قاومت حتى انصرف المسلمون عنها دون اقتحامها– هى أوّل من أسرع إلى إعلان الطاعة بعد تبوك، وإن

تردَّدت طويلاً فى إعلان هذه الطاعة. فقد كان عُرْوة بن مسعود، أحد سادة ثقيف المقيمين بالطائف، غائبًا باليمن فى أثناء غزو النبىّ بلاده بعد موقعة حُنَيْن. فلمَّا عاد إلى موطنه ورأى النبىَّ انتصر فى تبوك وعاد إلى المدينة، أسرع إليه يعلن إسلامه وحرصه على دعوة قومه للدخول فى دين الله. ولم يكن عروة ليجهل محمدًا وعظم أمره، وقد كان أحد الذين فاوضوه عن قريش فى صلح الحُدَيْبية. وعرف النبى بعد إسلام عروة اعتزامه الذهاب إلى قومه يدعوهم إلى الدين الذى دخل فيه، وكان النبىُّ يعرف من تعصُّب ثَقيف لصنمها اللَّات ومن نخوتها وشدَّتها ما جعله يحذِّر عروة ويقول له: إنهم قاتلوك، لكن عروة اعتزَّ بمكانه من قومه فقال: يارسول الله، أنا أَحَبُّ إليهم من أبصارهم.

مقتل عروة:

وذهب عروةُ فدعا قومه إلى الإسلام؛ فتشاوروا فيما بينهم ولم يبدوا له رأيًا. فلما كان الصباحُ قام على عِلِّية له ينادى إلى الصلاة. هنالك صدَقت فِراسة الرسول، فلم يطق قومه صبرًا، فأحاطوا به ورموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم قاتِلٌ. واضطرب من حول عُروة أهله، فقال وهو يُسلم الروح: «كرامةٌ أكرمنى الله بها، وشهادة ساقها الله إلىَّ، فليس فىَّ إلا ما فى الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله - ﷺ - قبل أن يرتحل عنكم». ثم طلب أن يدفن مع الشهداء فدفنه أهله معهم.

وفد ثقيف إلى النبى ﷺ:

ولم يذهب دم عروة هَدَرًا، فإن القبائل التى تُحيط بالطائف كانت قد أسلمت كلها، ولذلك رأت فيما صنعت ثَقيف بسيد من سادتها إثمًا ونكرًا. ورأت ثقيف من أثر ذلك أنهم صاروا لا يأمن لهم سِرْبٌ، ولا يخرج منهم رجل إلا اقْتُطع. وأيقنوا أنهم إن لم يجدوا سبيلاً إلى صلح أو هدنة مع المسلمين فمصيرهم لا ريب إلى الفناء. وأمَّر القوم فيما بينهم، وتحدثوا إلى كبير منهم (عبد ياليل)، كى يذهب إلى النبى يعرض عليه صلح ثقيف معه. وخشى عبد ياليل أن يُصيبه من قومه ما أصاب عروة بن مسعود، فلم يقبل أن يخرج إلى محمد حتى أوفدوا معه خمسة آخرين، اطمأنَّ إلى أنه إذا خرج معهم تم عادوا شَغَل كلُّ رجل منهم رهطة. ولقى المُغيرة بن شُعْبة القوم حين دَنَوْا من المدينة، فأسرع يريد أن يخبر النبىّ خبرهم. ولقيه أبو بكر يشتدُّ فى السير؛ فلما عرف منه ما جاء فيه طلب إليه أن يدع له هذه البشرى يزفُّها إلى رسول الله ودخل أبو بكر فأخبر النبىّ بقدوم وفد ثقيف.

طلب الوفد بقاء صنمهم ورفض النبى ﷺ ذلك:

وكان هذا الوفد ما يزال يعتزّ بقومه، ومايزال يذكر حصار النبى ﷺ للطائف وانصرافه عنها. فمع ما علمهم المغيرة كيف يحيون النبىّ بتحية الإسلام لم يَرْضَوْا حين قابلوه إلا أن يحيوه بتحية الجاهلية، ثم إنهم ضُربت لهم قبة خاصَّة فى ناحية من المسجد أقاموا بها يُصرُّون على الحذر من المسلمين وعدم الطمأنينة إليهم. وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين

رسول الله ﷺ فى مفاوضتهم إياه؛ فكانوا لا يطعمون طعامًا يأتيهم من عند النبى حتى يأكل منه خالد. وقام هذا بالسفارة، فأبلغ محمدًا أنهم مع استعدادهم للإسلام، يطلبون إليه أن يدع لهم صنمهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، وأن يعفيهم من الصلاة. وأبى محمد عليهم ما طلبوا من ذلك أشدَّ إباء. ولقد نزلوا يطلبون أن يدع اللات سنتين، ثم أن يدعها سنة، ثم أن يدعها شهرًا واحدًا بعد انصرافهم إلى قومهم، لكن إباءه ذلك كان حاسمًا لا تردّد فيه ولا هوادة. وكيف تريد من نبىّ، يدعو إلى دين الله الواحد القهار ويهدم الأصنام فلا يذر منها باقية، أن يتهاون فى أمر صنم منها، وإن كان لقومه من المنعة ماكان لثقيف بالطائف! فالإنسان إمَّا أن يؤمن، وإمَّا ألَّا يؤمن، وليس بين الطرفين إلا الارتياب والشكّ. والشكّ والإيمان لا يجتمعان فى قلب كما لا يجتمع الإيمان والكفر. وبقاء اللات طاغية ثقيف علمٌ على أنهم لا يزالون يداولون عبادتهم بينها وبين الله جلّ شأنه. وهذا إشراك بالله، والله لا يغفر أن يُشْرَك به.

طلب الإعفاء من الصلاة ورفضه:

وطلبت ثقيف إعفاءها من الصلاة؛ فرفض محمد ﷺ قائلًا: إنه لا خير فى دين لا صلاة فيه. ونزل الثقفيون عن بقاء اللات وقبلوا الإسلام وإقامة الصلاة لكنهم طلبوا ألا يَكْسِروا أوثانهم بأيديهم. إنهم حديثو عهد بإيمان، وقومهم ما يزالون فى انتظارهم ليروا ما صنعوا، فليجنبهم محمد ﷺ تحطيم ما كانوا يعبدون وما كان يعبد آباؤهم، ولم ير محمد أن يشتد فى هذه ، فَسِيَّان أن يكسر الثقفيون الصنم وأن يكسره غيرهم؛ فهو سيهدم، وستقوم فى ثقيف عبادة الله وحده. قال عليه السلام: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه، ثم أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص وكان من أحدثهم سِنًّا. أمَّره عليهم على حداثة سِنِّه؛ لأنه كان أحرصهم على الفقه فى الإسلام وتعلم القرآن، بشهادة أبى بكر والسابقين إلى الإسلام. وأقام القوم مع محمد مابقى من رمضان، وصاموا وإياه وهو يبعث لهم بفطورهم وسحورهم. فلما آن لهم أن ينصرفوا إلى قومهم أوصى محمد عثمان بن أبى العاص قائلًا: «تجاوز فى الصلاة واقْدُر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة».

هدم اللات:

وعاد القوم إلى بلادهم، فوجَّه النبىّ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبة، وكانت لهما بثقيف مودَّة وحرمة، ليقوما بهدم اللات. وقَدِم أبو سفيان والمغيرة لهدم الصنم، فهدمه المغيرة ونساء ثقيف حُسَّرًا يبكين، ولا يجرؤ أحد أن يقترب منه بعد الذى كان من اتفاق وفد ثقيف والنبىّ على هدمه. وأخذ المغيرة مال اللات وحليها فقضى منه، بأمر الرسول وبالإتفاق مع أبى سفيان، دينًا كان على عُروة والأسود. وبهدم اللات وبإسلام الطائف كانت الحجاز كلها قد أسلمت، وكانت سطوة محمد قد امتدَّت من بلاد الروم فى الشمال إلى بلاد اليمن وحضر موت فى الجنوب. وكانت هذه

البلاد الباقية فى جنوب شبه الجزيرة تتهيأ كلها لتنضمَّ إلى الدين الجديد، ولتقف على الدفاع عنه وعن وطنها كل قوّتها. وكانت وفودها تسير لذلك من جهات مختلفة، قاصدة كلها إلى المدينة لتعلن الطاعة ولتدين بالإسلام.

الوفود تُقْبِلُ تَتْرى إلى المدينة:

بينما كانت الوفود تُقْبِلُ تَتْرى إلى المدينة، كانت الأشهر يتلو أحدها الآخر حتى اقترب موعد الحج، ولم يكن النبىّ عليه السلام أدّى الفريضة على تمامها يومئذ كما يؤديها المسلمون اليوم، أفتُراه يخرج فى عامه هذا شكرًا لله على ما نصره على الروم، وما أدخل الطائف فى حظيرة الإسلام، وما جعل الوفود تجيء إليه من كل فج عميق؟ إن شبه الجزيرة مايزال بها من لم يؤمن بالله ورسوله، مايزال بها الكفار ومايزال بها اليهود والنصارى. والكفار على عهدهم فى الجاهلية مايزالون يحجون إلى الكعبة فى الأشهر الحُرم. والكفار نَجَسٌ. فليبق إذًا بالمدينة حتى يُتم الله كلمته وحتى يأذن الله له بالحج إلى بيته وليخرج أبو بكر فى الناس حاجًّا.

حج أبى بكر بالناس:

وخرج أبو بكر فى ثلثمائة مسلم قاصدًا إلى مكة. ولكن العام قد يتلو العام والمشركون مايزالون يحجون بيت الله الحرام. أليس بين محمد وبين الناس عهد عامٌّ ألا يُصَدَّ عن البيت أحد جاءه، ولا يُخاف أحد فى الأشهر الحُرُم؟! أليست بينه وبين قبائل من العرب عهود إلى آجال مسمَّاة؟!. فمادامت هذه العهود فسيظل بيت الله يحج إليه من يُشرك بالله ومن يعبد غير الله، وسيظل المسلمون يرون عبادة الجاهليَّة تؤدى بأعينهم حول الكعبة وهم بحكم هذه العهود الخاصّة وهذا العهد العام لا قبل لهم بصدِّ أحد عن حجّه وعبادته.

منع المشركين من الحج:

وإذا كانت الأصنام التى يعبد العرب قد حُطم الكثير منها وحطم منها كل ما كان فى الكعبة أو حولها، فإن هذا الاجتماع فى بيت الله المقدّس، اجتماعًا يضم الثائرين على الشرك وعلى الوثنية والمقيمين على هذا الشرك وهذه الوثنية، تناقض غير مفهوم. وإذا استطاع أحد أن يفهم حج اليهود والنصارى جميعًا إلى بيت المقدس على أنه أرض المَعاد لليهود ومولد المسيح للنصارى، فلن يستطيع أحد أن يفهم اجتماع عبادتين حول بيت تُحَطَّم فيه الأصنام وتعبد فيه الأصنام التى حُطِّمت. لذلك كان طبيعيًّا أن يحال بين المشركين وبين الاقتراب من البيت الذى طُهر من الشرك ومحيت منه كل معالم الوثنية. وفى هذا نزلت الآيات من سورة براءة. لكن موسم الحج بدأ والمشركون قد أتى منهم من أتى من كل فج يقضى مناسك حجه، فليكن هذا الاجتماع أوان تبليغهم أمر الله ينقض كل عهد بين الشرك والإيمان إلا من عهد عُقِدَ لأجَل فإنه يبقى إلى أجله.

ولهذه الغاية أوفد النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب كي يلحق بأبي بكر. وكي يخطب الناس حين الحج يوم عرفة بما أمر الله ورسوله. وحضر عليّ ، في أثر أبي بكر والمسلمين الذين برزوا إلى الحج معه، كي يؤدّي رسالته. فلمّا رآه أبو بكر قال له: أمير أم مأمور؟ قال عليّ: بل مأمور. وأخبره بما جاء فيه، وأنّ النبي إنما بعثه في الناس لأنه من أهل بيته. فلما اجتمع الناس بمنى يؤدّون مناسك الحجّ، وقف عليُّ بن أبي طالب وإلى جانبه أبو هريرة، فنادى عليّ في الناس يتلو قوله تعالى:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ. كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ. أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ

أَولِيَاءَ إِنِ استحَبُّوا الكفرَ على الإيمان ومَنْ يتولَّهم مِنكم فأُولئِكَ هم الظالمون. قُلْ إِنْ كان آباؤُكُمْ وأبناؤُكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْن كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إليكم مِن الله ورسولِهِ وجِهادٍ فى سبيلِهِ فتربَّصُوا حتَّى يأْتِىَ الله بأَمْرِهِ والله لا يَهْدِى القومَ الفاسِقِين. لقد نَصَرَكم اللهُ فى مواطِنَ كَثِيرَة ويومَ حُنَيْنٍ إِذ أَعجبتْكم كَثْرَتُكم فلم تُغْنِ عنكم شيئًا وضَاقت عليكُمُ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِين. ثم أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رسُولِهِ وعلى المُؤْمِنِين وأَنزل جُنودًا لم تَرَوْها وعَذَّب الَّذِين كفَروا وذلك جَزاءُ الكَافِرِينَ. ثُمَّ يتوبُ اللهُ من بعدِ ذلكَ على مَنْ يشاء واللهُ غفُورٌ رَحِيمٌ. يَأيها الذين آمَنوا إِنَّما الْمُشْرِكون نَجَسٌ فلا يَقْرَبوا المسجِدَ الحَرَامَ بعد عامِهِم هذا وإِن خِفْتُم عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنيكُمُ اللهُ من فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. قَاتِلُوا الَّذِين لا يُؤْمنونَ بالله ولا بالْيَوْمِ الآخِرِ ولا يُحرِّمون ما حَرَّمَ الله ورسُولُهُ ولَا يَدِينُون دِينَ الحقِّ من الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرون. وقالتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ الله وقالتِ النَّصارَى المَسِيحُ ابنُ الله ذلكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِم يُضَاهِئُونَ قَولَ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُون. اتَّخذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِنْ دُون الله والمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلـهًا وَاحِدًا لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَما يُشْرِكُونَ. يُرِيدُون أَن يُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِم ويَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِم نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون. هو الَّذِى أَرْسَلَ رسُولَهُ بالْهُدَى ودِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِه الْمُشْرِكون. يَأَيُّها الَّذِين آمنوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكلون أموالَ الناسِ بالْبَاطِلِ ويَصُدُّون عن سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ يَكنِزُون الذهبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونها فى سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهم بعذابٍ أَلِيم. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْها فى نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بها جِباهُهم وجُنوبُهم وظُهورُهم هذا ما كَنَزْتُم لِأَنْفُسِكم فَذُوقُوا ما كُنْتُم تَكْنِزُون. إِنَّ عِدَّةَ الشهورِ عند الله أَثنا عَشَرَ شهرًا فى كِتابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ مِنها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّين القَيِّمُ فلا تَظْلِمُوا فيهنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِين﴾[1].

وقف علىّ فى الناس وهم يؤدّون مناسك الحج بمنى، فتلا عليهم هذه الآيات من سورة التوبة نقلناها هنا كاملة لغرض سنبينه. فلما أتم تلاوتها وقف هنيهة ثم صاح بالناس: «أيهاالناس! إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيان. ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مُدّته». صاح علىّ فى الناس بهذه الأوامر الأربعة، ثم أجّل الناس أربعة أشهر بعد ذلك اليوم ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم وبلادهم. ومن يومئذ لم يحجّ مشرك، ولم يَطُف بالبيت عُريان. ومن يومئذ وُضع الأساس الذى تقوم عليه الدولة الإسلامية.

---

(١) سورة التوبه الآيات من ١ إلى ٣٦.

الأساس المعنوى للدولة الناشئة:

هذا الأساس هو الذى جعلنا نسجل هنا صدر صورة التوبة كلُّه. والحرص على أن يدرك العرب جميعًا هذا الأساس هو الذى دعا عليًّا إلى ألا يكتفى بقراءة هذه الآيات من براءة يومَ الحج، على ما اتفقت عليه الرواية، بل جعله يقرؤها على الناس من بعد ذلك فى منازلهم، على ما جاءت به روايات كثيرة. وإنك إذ تتلو صدر «براءة» وتُعيد تلاوته بإمعان ورويَّة لتَشعر حقًّا بأنه الأساس المعنوى فى أقوى صورة لكل دولة ناشئة تقوم. ونزول «براءة» كلها بعد آخر غزوة من غزوات النبىّ ﷺ، وبعد أن جاء أهل الطائف يعلنون انضمامهم إلى الدين الجديد، وبعدَ أن أصبح الحجاز كله ومعه تهامة ونجد منضويًا تحت راية الإسلام، وبعد أن أعلن كثير من قبائل الجنوب فى شبه الجزيرة الإذعان لمحمد والانضواء إلى دينه، يجلو الحكمة التاريخية فى نزول الآيات التى تنتظم أساس الدولة المعنوىّ فى هذا الحين. فالدولة، لتكون قوية، يجب أن تكون لها عقيدة معنوية عامة يؤمن بها أهلوها ويدافعون جميعًا عنها بكل ما أوتوا من عَتَاد وقوّة. وأيَّة عقيدة أعظم من الإيمان بالله وحده لا شريك له! أيَّة عقيدة أكبر سلطانا على النفس من أن يحس الإنسان نفسه تتصل بالوجود فى أسمى مظاهره، لا سلطان عليه لغير الله ولا رقيب غير الله على ضميره! فإذا وُجد الذين يقومون فى وجه هذه العقيدة العامَّة التى يجب أن تكون أساس الدولة، فأولئك هم الفاسقون، وأولئك هم نواة الثورة الأهلية والفتنة الماحقة، وأولئك يجب لذلك ألا يكون لهم عهد، ويجب أن تقاتلهم الدولة. فإن كانوا ثائرين على العقيدة العامَّة ثورة جامحة، وجب قتالهم حتى يُذْعنوا. وإن كانت ثورتهم على العقيدة العامَّة غير جامحة، كما هو شأن أهل الكتاب، وجب أن يدفعوا الجزية عن يَد وهم صاغرون.

المسرفون فى أحكامهم على الإسلام والرسول ﷺ:

النظر إلى المسألة من الجهة التاريخية والجهة الاجتماعية يهدينا إلى هذا التقدير لمغزى الآيات التى تلاها القارئ ههنا من سورة التوبة، وهو يهدى إلى هذا التقدير كل منصف نزيه القصد. لكن الذين أسرفوا فى أحكامهم على الإسلام وعلى رسوله يَنْدرون هذا النظر على نبأ ويَعْرضون لهذه الآيات القوية غاية القوة من سورة التوبة على أنها دعوة إلى التعصّب لا تتَّفق مع ما ترضاه الحضارة الفاضلة من تسامح، دعوةٌ إلى قتال المشركين وقَتلهم حيث ثُقِفهم المؤمنون فى غير رفق ولا هوادة، دعوة إلى إقامة الحكم على أساس البطش والجبروت. هذا كلام تقرؤه فى كثير من كتب المستشرقين. وهو كلام تهوى إليه الأذهان التى لم تنضَج فيها ملكة النقد الاجتماعى والتاريخى حتى من أبناء المسلمين وهو كلام لا يتَّفق مع الحقيقة التاريخية ولا يتفق مع الحقيقة الاجتماعية فى شىء. وهو لذلك يؤدى بأصحابه إلى تفسيرهم ما أوردنا من سورة التوبة، وما جاء من مُشَابِهه فى مواضع

كثيرة من القرآن، تفسيرًا يأباه منطق الحوادث فى سيرة الرسول تمام الإباء، وتأباه حياة النبىّ العظيم فى تسلسلها من يوم بعثه الله للدعوة إلى دين الحق إلى يوم اصطفاه الله إليه.

حرية الرأى والحضارة الغربية:

ويجملُ بنا لبيان ذلك أن نسأل عن الأساس المعنوى للحضارة الحاكمة اليوم، ثم نقيس به هذا الأساس المعنوى الذى دعا محمد إليه. فالأساس المعنوى للحضارة الحاكمة اليوم هو حريَّة الرأى حريَّة لا حدّ لها، ولا حدَّ للتعبير عنها إلا بالقانون. وحرية الرأى هذه هى لذلك عقيدة يدافع الناس عنها ويضحّون فى سبيلها ويجاهدون لتحقيقها ويحاربون من أجلها، ويعتبرون ذلك كله آية من آيات المجد التى يفاخرون بها الأجيال ويتباهَوْن بها على ما سبقهم من العصور. ومن أجل ذلك يقول المستشرقون الذين أشرنا إليهم: إن دعوة الإسلام لمقاتلة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر دعوة إلى التعصب تتنافى وهذه الحرية. وهذه مغالطة مفضوحة إذا عرفت أن قيمة الرأى الدعوةُ له والعمل به. والإسلام لم يدعُ إلى مناوأة المشركين من أهل الجزيرة، إذا هم أذعنوا ولم يَدْعُوا إلى شركهم ولم يعلموا به ويقيموا عبادته. والحضارة الحاكمة اليوم تحارب الآراء التى تناقض مواضع العقيدة منها بأشدّ مما كان يحارب المسلمون المشركين، وتفرض على من يعتبر كتابيًّا بالنسبة لهذه الحضارة الحاكمة ما هو شرٌّ من الجزية ألف مرة.

محاربة البلشفية وهى رأى اقتصادى:

ولسنا نضرب المثل لذلك بما كان حين محاربة تجارة الرقيق،وإن آمن الذين كانوا يقومون بهذه التجارة بأنها غير محرَّمة. لا نضرب هذا المثل حتى لا يقال: إننا لا نستنكر هذه التجارة وإن كان الإسلام لم يدعُ إلى أكثر من محاربة ما يستنكر. لكن أوربا اليوم، أوربا صاحبة الحضارة الحاكمة تؤيدها أمريكا وتعزّزها قوّات الجنوب فى آسيا والشرق الأقصى منها، قد حاربت البلشفية، وهى مستعدة لمحاربتها أشدَّ الحرب. ونحن فى مصر مستعدُّون للاشتراك مع الحضارة الحاكمة لمحاربة البلشفية. والبلشفية ليست مع ذلك إلا رأيًا فى الاقتصاد يحارب الرأى الذى تدين به الحضارة الحاكمة اليوم. أفتكون دعوة الإسلام إلى محاربة المشركين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه دعوةً وحشيَّة إلى التعصب وضدَّ الحرية، وتكون الدعوة إلى محاربة البلشفية الهادمة للنظام الاجتماعى فى الحضارة الحاكمة دعوة إلى الحرية فى العقيدة والرأى وإلى احترامها!

محاربة محلات العرى:

ثم إن قومًا رأوا فى غير بلد من بلاد أوربا أن التهذيب النفسى يجب أن يتصل به التهذيب الجسمى، وأن ما تواضع الناس عليه من ستر الجسم كله أو بعض أعضائه أشد إثارة للمعانى الجنسية فى النفس، وأشد لذلك إفسادًا للخلق من أن يسير الناس وكلهم عريان. وبدأ أصحاب هذا

الرأى ينقذونه وأقاموا محلّات العرى فى بعض المدن، وأقاموا أماكن يغشاها من شاء للتدرّب على هذا التهذيب الجسمى. لكن هذا الرأى ما بدأ ينتشر حتى رأى القائمون بالأمر فى كثير من البلاد أن فى انتشار مظاهره إفسادًا للتهذيب الخلقى يضر بالجماعة؛ فحرموا «محلّات العرى» وحاربوا القائمين بالرأى، ونهوا بالقانون عن إنشاء أماكن هذا التهذيب الجسمى. وما نشك فى أن هذا الرأى، لو انتشر فى أمة بأسرها لكان سببًا لإعلان الحرب عليها من أمم أخرى على أنه مفسدة للحياة المعنوية فى الإنسان، كما أثيرت حروب بسبب الرقيق، وكما تثار حروب أو ما يشبهها بسبب تجارة الرقيق الأبيض وبسبب الاتجار بالمخدّرات. لماذا ذلك كله؟ لأن حريّة الرأى على إطلاقها يمكن أن تُحتمل ما بقيت حبيسةً فى حدود القول الذى لا يتصل منه بالجماعة ضرٌ أو أذى. فإذا أوشك هذا الرأى أن يثير فى الجماعة الإنسانية الفساد فقد وجبت محاربة هذه الثائرات ووجبت محاربة مظاهر الرأى جميعًا، بل وجبت محاربة الرأى نفسه، وإن اختلفت مظاهر هذه الحرب بمقدار ما يترتب على هذه المظاهر من فساد فى الجماعة يخشى منه على قوامها الخلقىّ أو الاجتماعى أو الاقتصادى.

التشريع قمع لحرية الرأى له ما يسوغه:

هذه هى الحقيقة الاجتماعية المعترف بها والمقرّرة لدى الحضارة الحاكمة اليوم. ولو أردنا أن نستقصى مظاهر ذلك وآثاره فى مختلف الشعوب لطال بنا البحث، وليس ها هنا موضعه. على أنك تستطيع أن تقول إن كل تشريع يراد به قمع أية حركة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية إنما هو حرب للرأى الذى تصدر عنه هذه الحركة. وهذه الحرب تجد ما يسوّغها فى مبلغ ما يُصيب الجماعة الإنسانية من ضرر إذا نُفّذت الآراء تُشَبّ الحرب عليها. فإذا أردنا أن نقدر دعوة الإسلام إلى مقاتلة الشرك وأهله وحربهم حتى يذعنوا، وهل هذه الحرب مسوّغة أو غير مسوّغة. وجب أن ننظر فيما تمثّله فكرة الشرك هذه وما تدعو إليه. فإن اتفقت الكلمة على فادح ضررها بالجماعة الإنسانية فى مختلف عصورها كان لإعلان الإسلام الحرب عليها ما يسوّغه بل ما يوجبه.

صورة من حياة المشركين:

والشرك الذى كان موجودًا حين قيام محمد عليه السلام بالدعوة إلى دين الله الحق لم يكن يمثّل عبادة الأصنام وكفى، ولو أنه كان كذلك لوجبت محاربته؛ فمن الازدراء للعقل الإنسانى وللكرامة الإنسانية أن يعبد الإنسان حجرًا. ولكن هذا الشرك كان يمثّل مجموعة من التقاليد والعقائد والعادات، بل كان يمثّل نظامًا اجتماعيًّا هو شرٌ من الرق وشرّ من البلشفية وشرّ من كل ما يتصور العقل فى هذا القرن المتم للعشرين. كان يمثّل وأدَ البنات، وتعدّد الزوجات إلى غير حدّ، حتى ليحلّ للرجل أن يتزوّج ثلاثين وأربعين ومائة وثلثمائة امرأة وأكثر من ذلك. وكان يمثّل الربا فى أفحش

ما يستطيع الإنسان أن يتصوّر الربا. وكان يمثّل الإباحيَّة الخُلقية فى أسفل صورها، وكانت جماعة الوثنيين العرب شرّ جماعة أخرجت للناس. ونودّ من كل منصف أن يجيب عن هذا السؤال: لو أن جماعة من الناس وضعت لنفسها اليوم نظامًا فيه من العقائد والعادات وأدُ البنات، وتعدّد الزوجات، وإباحة الرق لسبب أو لغير سبب، واستغلال الأموال استغلالاً فاحشًا، ثم قامت ثورة على ذلك كله تحاول تحطيمه والقضاء عليه، أتُتَّهَمُ هذه الثورة بالتعصّب وبالعمل ضدّ حرية الرأى؟! وإذا افترضنا أن أمة اطمأنّت إلى هذا النظام الاجتماعى المنحطّ وأوشكت العدوى أن تنتقل منها إلى غيرها من الدول فآذنتها هذه الدول بحرب، أتكون الحرب مسوّغة أم غير مسوّغة؟! أوَلا تكون مسوَّغة أكثر من الحرب الكبرى الأخيرة التى طاحت بملايين من أهل هذا العالم لغير سبب إلا الشره والجشع من جانب دول الاستعمار؟! وإذا كان ذلك شأنها فما عسى أن تكون قيمة نقد المستشرقين للآيات التى تلاها القارئ من سورة براءة، ولدعوة الإسلام إلى حرب الشرك وأهله ممن يدعون إلى إقامة نظام فيه ما ذكرنا وشرٌّ مما ذكرنا!.

الثورة على الشرك مسوغه:

وإذا كانت هذه هى الحقيقة التاريخية فى شأن هذا النظام الذى كان قائمًا فى بلاد العرب يُظِلّه علم الشرك والوثنيَّة، فهناك أيضًا حقيقة تاريخية أخرى مستمدّة من حياة الرسول. فهو قد أنفق منذ بعثه الله برسالته ثلاث عشرة سنة حسومًا يدعو الناس فيها إلى دين الله بالحجة ويجادلهم بالتى هى أحسن. وهو فيما قام به من غزوات لم يكن معتديًا قطّ، وإنما كان مدافعًا عن المسلمين دائمًا، مدافعًا عن حرّيتهم فى الدعوة إلى دينهم الذى يؤمنون به ويضحُّون بحياتهم فى سبيله. هذه الدعوة القويَّة إلى قتال المشركين على أنهم نَجَسٌ، وأنهم لا عهد لهم ولا ميثاق، وأنهم لا يرْعَوْن فى مؤمن إلّا ولا ذمة، وإنما نزلت بعد آخر غزوة غزا النبىّ: تبوك. فإذا حلّ الإسلام ببلاد تفشى فيها الشرك وحاول أن يقيم فيها هذا النظام الاجتماعى والاقتصادى الهدّام الذى كان قائمًا فى شبه الجزيرة حين بُعِث النبىُّ، فدعا المسلمون أهلَها إلى ترك هذا النظام، وإلى الأخذ بما أحلّ الله وتحريم ما حرَّم فلم يُذعنوا، فليس من منصف إلا يقول بالثورة عليهم، وبقتالهم حتى تتم كلمة الحق، وحتى يكون الدين كله لله.

ولقد أثمر هذا الذى تلا علىٌّ من «براءة» وما نادى فى الناس بألا يدخل الجنة كافر، وبألا يَحُجّ بعد العام مشرك، وبألا يطوف بالبيت عُريان، خيرَ الثمرات، وأزال كل تردُّد من نفوس القبائل التى كانت ماتزال متباطئة فى تلبية دعوة الإسلام.

عامر بن الطفيل:

وبذلك دخلت فى الإسلام بلاد اليمن ومَهْرَة والبحرين واليمامة، ولم يبق من يناوئ محمدًا إلا

عددًا قليلاً أخذتهم العزة بالإثم وغرّهم بالله الغرور. من هؤلاء عامر بن الطفيل الذى ذهب مع وفد بنى عامر ليستظلّوا براية الإسلام؛ فلما كانوا عند النبىّ امتنع عامر ولم يُسلم، وأراد أن يكون للنبى نِدًّا. وأراد النبىّ أن يقنعه كيما يسلم، فأصرّ على إبائه، ثم خرج وهو يقول: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. قال محمد: اللّهمّ اكْفِنى عامر بن الطُفَيْل! وانصرف عامر يريد قومه وإنه لفى بعض الطريق إذ أصابه الطاعون فى عنقه وقضى عليه وهو فى بيت امرأة من بنى سَلول؛ قضى عليه وهو يردّد: «يا بنى عامر! أغُدَّةً كغدَّة البعير وموتة فى بيت سَلوليَّة!». أمَّا أرْبَد بن قيس فقد أبى أن يسلم وعاد إلى بنى عامر ولم يطل به المقام بل أحرقته صاعقة حين خرج على جمل له يبيعه. ولم يمنع إباء عامر وأربد قومَهما من أن يسلموا. ومن هؤلاء بل هو شرٌّ منهم مكانًا مُسَيْلَمة بن حبيب؛ فقد جاء فى وفد بنى حَنِيفة من أهل اليمامة وخلّفه القوم على رحالهم وذهبوا إلى رسول الله فأسلموا وأعطاهم النبىّ، فذكروا له مُسَيلمة، فأمر له بمثل ما أمر للقوم، وقال: أما إنه ليس بشرّكم مكانًا؛ وذلك لحفظه رحال أصحابه. فلمّا سمع مُسيلمة قولهم ادّعى النبوة، وزعم أن الله أشركه مع محمد فى الرسالة، وجعل يسجَع لقومه ويقول لهم فيما يقول محاولا مضاهاة القرآن: «لقد أنعم الله على الحُبْلى. أخرج منها نسمة تسعى. من بين صفاق وحشا»: وأحلَّ مُسَيْلَمة الخمرَ والزنا، ووضع عن قومه الصلاة، وانطلق يدعو الناس إلى تصديقه. فأمَّا مَنْ عدا هؤلاء من العرب فأقبلوا يدخلون فى دين الله أفواجًا من أطراف شبه الجزيرة، وعلى رأسهم رجال من أعزّ الرجال من أمثال عَدىّ بن حاتم وعمر بن مَعْدى كَرِب. وبعث ملوك حِمْيَر رسولا بكتاب منهم إلى النبى يعلنون فيه إسلامهم فأقرّهم عليه وكتب إليهم بما لهم وما عليهم فى شرع الله. فلما انتشر الإسلام فى جنوب شبه الجزيرة، بعث محمد من السابقين إلى الإسلام من يفقّههُم فى دينهم ويثبّتهم فيه.

تسمية وفود العرب إلى النبى ﷺ:

لم نُطِل الوقوف عند وفود العرب إلى النبى ﷺ كما فعل بعض الأقدمين من كتّاب السيرة، لتشابه أمرهم فى الانضواء تحت راية الإسلام. ولقد أفرد ابن سعد فى طبقاته الكبرى لوفادات العرب على الرسول خمسين صفحة كبيرة، نكتفى بأن نذكر منها أسماء القبائل والبطون التى أوفدتها. فقد جاءت وفود من: مُزَيْنة، وأسَد، وتميم، وعَبْس، وفَزَارة، ومُرَّة، وثَعْلَبة، ومُحارِب، وسعد بن بكر، وكِلاب، ورُؤاس بن كلاب. وعُقَيْل بن كعب، وجَعْدة، وقُشَيْر بن كعب، وبنى البكّاء، وكنانة، وأشجَع، وباهِلة، وسُلَيم، وهلال بن عامر، وعامر بن صَعْصَعَة، وثَقِيف. وجاءت وفود ربيعة من: عبد القَيْس، وبكر بن وائل، وتَغْلِب، وحَنِيفة، وشَيْبان. وجاء من اليمن وفد من طيئ، وتُجيب، وخُوْلان، وجعْفِىّ، وصُدَاء، ومُراد، وزُبَيد، وكِنْده، والصَّدف، وخُشَيْن، وسعد شُذَيم، وبَلِىّ، وبَهْراء، وعُذْرة؛ وسلامان، وجهيْنة، وكَلْب، وجرْم، والأزْد، وغَسّان، والحارث بن كعب، وهَمْدان، وسعد العَشيرة، وعَنْس، والداريين، والرَّهاويين (حى من مذحج)، وغامِد، والنَّخع، وبَجِيلة، وخثْعَم،

والأشْعَرين، وحَضْرَ مَوْت، وأزد عُمَان، وغافِق، وبارق، ودَوْس، وثُمَالة، والحُدان، وأسْلَم، وجُذام، ومهرة، وحِمْير، ونَجَران، وجَيْشان. وكذلك لم يبق فى شبه الجزيرة بطن أو قبيلة حتى أسلم إلا من قدمنا.

وكان ذلك شأن المشركين من أهل شبه الجزيرة؛ سارعوا إلى الدخول فى الإسلام، وتركوا عبادة الأوثان. وتطهرت بلاد العرب جميعًا من الأصنام وعبادتهم وتم ذلك كله بعد تبوك طواعية واختيارًا، من غير أن تزهق نفس أو يهراق دم. فماذا صنع اليهود والنصارى مع محمد، وماذا صنع محمد ﷺ معهم؟